نَظَراتٌ بَلاَغِيّةٌ فِي رِيَاضِ الخُطب المُحَمَّدِيَّة

خُطْبَةُ الخَيْف مِنْ مِنَى "أُنْمُوذَجاً"

دكتور

شعبان محمد علي كفافي

أستاذ البلاغة والنقد المساعد

في كلية اللغة العربية بالزقازيق

المقدمة

الحمد لله العليم الحكيم، المتفضل بالكمال والجلال على خاتم رسله؛ فأعطاه مفاتيح الكلم، وآتاه الحكمة وفصل الخطاب.

والصلاة والسلام على أفصح الفصحاء، وأبلغ الخطباء، سيدنا محمد أفضل العرب، خير من تكلم، وخير من خطب.

أما بعد،،،،،

فمن المعلوم أن الخطب النبوية تراث نفيس، وكنز ثمين، ومعين لا ينضب؛ حيث إنها تعد مثالا ساميا للبلاغة العالية، وأنموذجا قويما يحتذى به؛ ولم لا؟ فالخطيب هنا هو المثل الأعلى للكمال البشري؛ الذي فاق كل العبقريات، وفاق كل المواهب الإنسانية، ومن ثم فقد علت خطبه فوق كل مقاييس ومقومات الخطابة البشرية، لأنه تبوأ من البلاغة ذروتها، ووُهب فصاحة اللسان، وقوة الحجة والبرهان.

ولا يخفى على كل ذي لُب، أهمية الخطابة في التبليغ والدعوة والإصلاح، وأثرها في الإقناع والإفهام، واستمالة القلوب، وامتلاك العواطف والوجدان، وهذا ما حرص عليه رسولنا الكريم في خطابته؛ فكان "إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش"[1].

---

١١) صحيح مسلم صـ٢١٩ حديث رقم ٨٦٧ تحقيق: هندى صابر قاسم- مكتبة أولاد الشيخ للتراث- الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

وجاءت الخطب النبوية متعددة ومتنوعة بتنوع الزمان والمكان، ومقتضيات الأحوال، كما هو الحال والشأن فى خطبة الجمعة، وخطبة العيدين، وخطبة النكاح، والاستسقاء، وعند كسوف الشمس، وخسوف القمر، وفى رمضان، وفى الحج، والجهاد والغزوات، وفى الصلح، إلى غير ذلك من المواقف التي يقتضيها المقام.

ومع قيمة الخطب النبوية وما فيها من كنوز بلاغية؛ إلا أنها لم تنل حظا وافيا من الدراسات البلاغية يليق بمكانتها، ومن ثم أردت نيل شرف الصحبة والمرافقة لرسولنا الكريم فى بلاغة خطبه الشريفة فى هذا البحث؛ لعلي أوفق فى الإشارة إلى بعض سمات بلاغتها.

وقد وقع اختيارى على خطبة "الخَيْف من منى" لأقوم بدراستها دراسة بلاغية تحليلية؛ لأنه لما كانت الخطابة من أهم وسائل التبليغ والدعوة إلى الله، – ونحن المسلمين مأمورون بذلك–؛ وجدت أن هذه الخطبة؛ تذكرنا بأهمية التبليغ والحث عليه، وبيان منزلة المبلغ وعظم ثوابه.

وكذلك جمعت هذه الخطبة بين كونها خطبة قيلت فى مسجد" الخَيْف من منى"، وبين كون فقراتها رُويت أحاديث، فى أماكن متعددة، وفى أزمنة متفاوتة[1]؛ مما يدل على أهمية ما فيها من

---

(١) سنن ابن ماجة حـ١ صـ٧٣-٧٤، تحقيق د.محمد محمد تامر، شركة القدس ٢٠٠٩م.
- سنن الترمذي صـ٤١٤-٤١٥، شركة القدس ٢٠٠٩م.

معان، ومدى حاجتنا إليها؛ ومن ثم دفعتني الرغبة إلى دراستها ومحاولة الربط بين فقراتها، وبيان أوجه التناسب بين أجزائها.

وجاء هذا البحث بعنوان: "نظرات بلاغية في رياض الخطب المحمدية (خطبة الخَيْف من منى "أنموذجا")

وقد تكون هذا البحث مما يأتى:

أ- المقدمة: تناولت فيها: أهمية الموضوع، وسبب اختياره، وخطته ومنهجه.

ب- التمهيد: تناولت فيه: أهم السمات البلاغية للخطب المحمدية.

ج- صلب البحث: وفيه نص خطبة الخَيْف من منى، ودراستها دراسة بلاغية تحليلية.

د- الخاتمة: ذكرت فيها أهم ما توصل إليه البحث.

هـ- ثبت بأهم المصادر والمراجع.

و- فهرس الموضوعات.

هذا، وقد اتبعت في هذا البحث المنهج التحليلي، في الكشف عن بعض بلاغة النبوة في هذه الخطبة الشريفة.

وأسأل الله التوفيق إلى الصواب، والعصمة من الزلل،
إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.

- جمع الجوامع للسيوطي جـ١٠، صـ٤٤٦-٤٥٥، طبعة الأزهر الشريف، مطبعة دار السعادة ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

التمهيد

أهم السمات البلاغية للخطب المحمدية

قبل أن نشير إلى أهم السمات والخصائص البلاغية للخطب النبوية؛ لابد أن نقرر ونؤكد على أن البلاغة النبوية، قد علت فوق المقاييس البلاغية والنقدية التى وضعها البشر؛ لأننا نتحدث عن بلاغة أبلغ البلغاء قاطبة، وأفصح الفصحاء، الذى خاطبه ربه قائلاً: "وعظهم وقل لهم فى أنفسهم قولاً بليغاً"(١).

وقد تحدث رسولنا الكريم بنعمة ربه عليه فى هذا الشأن قائلاً: "بُعثت بجوامع الكلم."(٢)، وقال- أيضاً-: "أُعطيت مفاتيح الكلم..."(٣).

فنحن أمام بلاغة نبي أعطاه الله جوامع ومفاتيح الكلم، وآتاه الحكمة وفصل الخطاب، وهو محفوف بالعصمة، ومؤيد بالإلهام، وهو الذى أُنزل عليه القرآن، فمن بلاغته استقى، ومن فصاحته نهل.

ومن ثم فقد امتلك الرسول الكريم كل أسباب البلاغة ومقوماتها.

وللخطب النبوية سمات واضحة مثل: الإيجاز- مراعاة مقتضى الحال- حسن الابتداء وبراعة الاستهلال، الاقتضاب القريب من التخلص، وحسن الانتهاء - الاستشهاد بالقرآن الكريم- تنوع أساليب التشويق والإثارة (ومنها ألا التنبيهية وأما- أسلوب الشرط - أسلوب القسم - الاستفهام - النداء - الإجمال والتفصيل- بلاغة الحوار) التكرار- التوكيد- التعبير بالصورة البيانية من واقع البيئة- الطباق

---

(١) النساء- أية- ٦٣.

(٢) صحيح البخارى صـ٣٧٤- حديث رقم: ٢٩٧٧- مكتبة أولاد الشيخ للتراث- الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

(٣) السابق صـ٨٥٧- حديث رقم ٦٩٩٨.

والمقابلة – صيغ الأمر والنهي الواردة في سياق الترغيب والترهيب– والوصية بالتقوى والنصح والإرشاد.

وأول سمة عامة فى كل الخطب هى:

١ – مراعاة مقتضى الحال:

ليس بخاف على كل قارئ لسنة رسول الله– صلى الله عليه وسلم– أنه كان يتخول أصحابه بالموعظة كراهية السأمة عليهم، وهذا ما رواه ابن مسعود "رضي الله عنه". أنه قال: "كان النبى– صلى الله عليه وسلم" يتخولنا بالموعظة فى الأيام كراهية السأمة علينا[١]، إذاً كان الرسول الكريم يخطب ويعظ أصحابه عند الحاجة والضرورة؛ مراعاة لأحوالهم، ومن المعلوم أن كل حال له ما يناسبه.

ومن أهم السمات البلاغية التى تدل على مراعاة مقتضى الحال (كثرة التوكيد)؛ مراعاة لأحوال المخاطبين، فبعد أن أمر الله عز وجل– رسوله الكريم أن ينذر عشيرته الأقربين؛ توجه إليهم، وفيهم المنكرون والمترددون؛ فكان عماد الكلام ومحوره قائماً على التأكيد بأدواته وطرقه المختلفة؛ ليرسخ فيهم العقيدة، ويثبتهم على الإيمان.

وهاكم البلاغة التطبيقية الدالة على ما قلناه، وذلك فى أول خطبة للرسول الكريم بمكة فى بداية الدعوة، فى قوله: "إن الرائد لا يكذب أهله"، والله الذى لا إله إلا هو إنى رسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس كافة، والله لو كذّبْتُ الناس جميعاً ما كذبتُكم، ولتحاسبن بما تعملون، ولتجزون بالإحسان إحساناً، وبالسوء سوءاً، وإنها لجنة أبداً، أو لنار أبداً.، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون".

---

(١) صحيح البخارى صـ٢١- حديث رقم ٦٨.

فهذه خطبة قصيرة موجزة، لم تزد عن خمسة أسطر، بُنيت كلها على التوكيد بأدواته وطرقه المتنوعة. فبدأت الخطبة بجملة مؤكدة بـــ "إن" واسمية الجملة، ثم توالى القسم مصحوباً بتوكيدات أخرى، فاجتمع مع القسم "إن واسمية الجملة، وكذلك لام التوكيد، ونون التوكيد، كما اجتمعت لام التوكيد مع النون، واجتمع القسم مع الشرط كما هو واضح جلي فى الخطبة.

وإذا كانت كثرة التوكيد فى معظمها يخاطب بها المنكر والمتردد؛ فإن هناك خطبة أخرى له صلى الله عليه وسلم- نُزّل فيها المخاطبون منزلة من يجهلون، وذلك فى قوله: (١)

أيها الناس كأن الموت فيها على غيرنا قد كتب، وكأن الحق فيها على غيرنا قد وجب، وكأن الذى نشيع من الأموات سَفْر، عما قليل إلينا راجعون.

حسن الابتداء وبراعة الاستهلال:

مثل: بداية الخطب بالحمد لله والثناء عليه، وكذلك الابتداء بـــ: يا أيها الناس- أيها الناس- ألا أيها الناس - ألا إن.....

الاقتضاب القريب من التخلص:

وهو قول الرسول الكريم بعد حمد الله: "أما بعد"، وقيل: هو فصل الخطاب؛ لأنه يفصل بها بين ما قبلها من حمد الله ونحوه، وما بعدها من المقصود (٢).

---

(١) جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة، صـ١٥٣، د. أحمد زكي صفوت ، مطبعة الحلبي ، الطبعة الثانية، ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م.

(٢) ينظر الإيضاح على البغية جـ٤ صـ٧١٢ للشيخ عبد المتعال الصعيدى- مكتبة الأداب – الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٩م.

حسن الانتهاء: كان صلى الله عليه وسلم يختم كثيراً من خطبه: بالسلام عليكم ورحمة الله، أو بجملة تشعر بانتهاء الكلام.

أساليب التشويق:

كثر التشويق إلى المعنى فى الخطب المحمدية، وتنوعت طرقه وتعددت فجاء منها: أسلوب الاستفهام والنداء، أسلوب الشرط، وأدوات التنبيه، أسلوب القسم، و أسلوب الإجمال والتفصيل، والنفى، والتقديم، والدعاء، وبلاغة الحوار والإقناع، وغيرها من أساليب التشويق إلى المعنى.

ومن أساليب التشويق التى كثرت فى الخطب النبوية ما يأتى:

ألا التنبيهية

من السمات البلاغية الواضحة فى الخطابة النبوية تكرار "ألا" التنبيهية وكثرتها فى الخطبة الواحدة. ومجيئها مع أدوات توكيد أخرى مثل: القسم، وإن، واللام، ولا يخفى أن "ألا" التنبيهية تأتى فى كل مرة تنبه على قضية مهمة، بالإضافة إلى أنها من عناصر التنبيه والتوكيد، والتشويق، والإثارة، فلها بلاغتها فى كل موضع تأتى فيه..

نلحظ ذلك جلياً فى خطبة له صلى الله عليه وسلم [1]:

"ألا إن الدنيا خضرة حلوة، ألا وإن الله مستخلفكم فيها، ألا لا يمنعن رجلا مخافة الناس أن يقول الحق إذا علمه.

وفى خطبة أخرى بدأها الرسول الكريم بـــ ألا، وكررها بعد ذلك كثيراً، وذلك فى قوله: ألا أيها الناس توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا.....، ثم قال: ألا ولا حج له، ألا ولا صوم له، ألا ولا صدقة

---

(١) إعجاز القرآن للباقلانى السابق صـ١٣٠-١٣٢.

له، ألا ولا برّ له، ألا ولا يؤم أعرابيٌّ مهاجرا، ألا ولا يؤم فاجر مؤمنا....

وقد تكررت ألا التنبيهية فى خطب كثيرة أخرى(١)، ولكن نكتفى بما ذكرناه.

أسلوب الشرط:

مثل: والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم.

فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل، ومن لم يجد، فبكلمة طيبة. – ومن يتق الله، فقد فاز فوزاً عظيماً. – من كان على حرام، فرغب عنه ابتغاء ما عند الله، غفر له ذنبه. – ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة يوم الجمعة – ومن استغنى عنها، استغنى الله عنه، والله غني حميد. – من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له.

أسلوب القسم:

مثل: فوالذى نفس محمد بيده – والله الذى لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم. – والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم.

أسلوب الاستفهام:

ولا يخفى أن معظم الحوارات في الخطب اشتملت على أسلوب الاستفهام، وتضمن الحوار السؤال والجواب– أيضاً–

مثل: ما ترون أني فاعل بكم؟.....، قالوا: خيراً

---

(١) ينظر: خطبة عرفات، وخطبة يوم فتح مكة.

ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟ قالوا: بلى... – أرأيتكم .....، قالوا: نعم.

أسلوب النداء:

مثل: أيها الناس، يا أيها الناس – يا معشر قريش – يا أهل مكة – يا معشر الأنصار.

الإجمال والتفصيل:

من المعلوم أن الخطابة لا تخلو من عنصر التشويق والإثارة، ومن وسائل التشويق أسلوب الإجمال والتفصيل، وهذا واضح جلى فى الخطب المحمدية مثل:

إن المؤمن بين مخافتين: عاجل قد مضى..... وآجل قد بقى..... ويظهر ذلك جلياً– أيضاً– فى بيان تفصيل الأحكام المتعلقة بالدية مثل خطبته يوم فتح مكة: "ألا وقتل الخطأ مثل العمد بالسوط والعصا، فيهما الدية مغلظة، ثم أخذ يفصل الدية: منها أربعون خَلِفَة فى بطونها أولادها.

مثال آخر: صورة الإجمال والتفصيل الواردة في سياق التركيب العددى مثل: منها أربعة حرم: ثلاثة متواليات، وواحد فرد: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب الذى بين جمادى وشعبان. ومثل : ثلاث لا يغل عليهن قلب المؤمن:.....

بلاغة الحوار والإقناع:

إن للحوار أثره فى استمالة قلوب المخاطبين والاستحواذ على عقولهم بغرض الإفهام والإقناع وهذا واضح فى لغة الخطاب بين الرسول الكريم وبين من يخاطبه وكذلك فى الخطبة الأولى بمكة، وكذلك الخطبة الأولى والثانية فى المدينة، وخطبة حنين.

لا شك فى أن كل حوار بين الرسول الكريم ومخاطبيه كان هدفه الإفهام والإقناع، وهذا يحتاج إلى صدق الحوار، وبلاغة الحوار، وجمل محورية يدور حولها الحوار، وهى التى تحمل أهم القضايا التى يراد إثباتها بالحجج والبراهين، وهذا واضح جلى فى الخطب الأولى فى مكة وفى المدينة، ومثال ذلك ما جاء في خطبة حنين: عندما قسم الرسول الغنائم على قريش وقبائل العرب، ولم يعط الأنصار شيئاً فوجدوا فى أنفسهم شيئاً، فحاورهم الرسول الكريم وخطبهم: "يا معشر الأنصار ما قالة بلغتى منكم.... [١]

وقد امتلك حواسهم واستمال قلوبهم بالحجة والبرهان، وفى النهاية كان الإقناع والرضا، والتسليم بما شرعه الرسول الكريم.

ومثال ذلك -أيضاً-:

"أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح الجبل؟ أكنتم تصدقونى؟ قالوا: نعم، أنت عندنا غير متهم، وما جربنا عليك كذبا قط، قال: فإنى نذير لكم بين يدي عذاب شديد.

وفى فتح مكة: ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء.[٢]

أسلوب المقابلة والطباق:

نظراً لأهمية المقابلة فى تأكيد المعنى وترسيخه، وكذلك دورها فى الإقناع والإفهام، وهذا ما وضح جلياً فى تقريب الأشياء عن طريق هذه المقابلات، ومن ثم تبوأت مكانة فى معظم خطبه صلى الله

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام جـ٤ صـ١٤١- ١٤٢

(٢) السيرة النبوية لابن هشام جـ٤ صـ ٢٥٤

الله عليه وسلم. وكثيراً ما يقترن أسلوب المقابلة فى الخطب النبوية بأسلوب القسم وأسلوب الشرط، وجاء بعضها مقتبساً من القرآن الكريم، وكثر الطباق والمقابلة في مقام ذكر أحوال الجنة والنار، وأحوال الدنيا والآخرة. وتلكم بعض النماذج:

- إن الله مع من أطاعه، وإن الشيطان مع من عصاه، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حيّ عن بينة.
- ما أعلم من عمل يقربكم إلى الله إلا وقد أمرتكم به، ولا أعلم من عمل يقربكم إلى النار، إلا وقد نهيتكم عنه. - من كان همه الآخرة جمع الله شمله، ومن كان همه الدنيا فرق الله أمره.

التكـــرار:

ومن المعلوم أن التكرار لا يخلو من أسرار، وجاء التكرار فى الحروف، وفى الكلمات، وفى الجمل، وفى الأساليب.

- مثال تكرار الحروف: ألا التنبيهية-وكأن، وقد مضى ذكر نماذجها.
- مثال تكرار الكلمات: مثل: طوبى: طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس. طوبى لمن أنفق الفضل من ماله - طوبى لمن زكت وحسنت خليقته.

تكرار الجمل: مثال: ألا لا تظالموا- ألا لا تظالموا- ألا تظالموا- ألا هل بلغت؟، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد-

تكرار جمل: الوصية بالتقوى مثل: أوصيكم بتقوى الله - فاتقوا الله فى النساء- اتقوا الدنيا.

- تكرار: أسلوب القسم- وقد مضى ذكر نماذجه.
- تكرار: أسلوب الشرط - وقد مضى ذكر نماذجه.

تكرار أسلوب التوكيد: وقد مضى ذكر نماذجه

الفصل والوصل:

وهذا واضح جلى فى جمل السؤال والجواب، وفى جمل الإجمال والتفصيل، وفى جمل التوشيع الخاص بالتركيب العددي، وفى جمل جواب الشرط المتعددة، وغيرها- وقد مضى ذكره نماذج لذلك.

الاقتباس والاستشهاد بالقرآن:

اقتبس الرسول الكريم كثيراً من آيات القرآن فى ثنايا كلامه فى خطبه الشريفة، كما استشهد الرسول بكثير من آيات القرآن فى خطبه؛ بل إن بعض خطبه فى يوم الجمعة كانت تقتصر على بعض سور القرآن، مثل سورة "ق"، كما هو متواتر فى كتب السنة المطهرة. (١)

التعبير بالصورة البيانية من واقع البيئة:

جاءت الصورة البيانية من واقع البيئة، ومن أحوالهم وطبائع نفوسهم.

مثل: المؤمن من المؤمنين كالرأس من الجسد.....، ومثل: والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ومثل: من وقع فيها كالراعي إلى جنب الحمى.....

ومن صور التمثيل والكناية والتعريض: تعلمن والله ليصعقن أحدكم، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ثم ليقولن له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه، ألم يأتك رسول فبلغك، وآتيتك مالاً، وأفضلت عليك، فما قدمت لنفسك؟ فلينظرن يميناً وشمالاً، فلا يرى شيئاً، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم.

وقوله فى الحرب: "الآن حمى الوطيس".

---

(١) صحيح مسلم صـ٢٢٠- تحقيق هندى صابر قاسم- مكتبة أولاد الشيخ للتراث الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

ومن أمثلة التعريض: ما روى عن عائشة رضى الله عنها قالت: صنع النبى – صلى الله عليه وسلم– شيئا فرخص فيه، فتنزه عنه قوم؛ فبلغ ذلك النبى – صلى الله عليه وسلم– فخطب فحمد الله ثم قال: "ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه؟ فوالله إني لأعلمهم بالله، وأشدهم له خشية"(١).

وغيرها كثير من الصور البيانية التي تقرب المعاني وتجسدها؛ لتكون مألوفة لدى المخاطبين، وكانت في معظمها للإفهام والإقناع.

وبالجملة فإن الخطابة النبوية "احتشدت فيها المؤشرات النفسية، والانفعالات الوجدانية، والصور البيانية، والقوى الإنسانية الفعالة، من عاطفة جياشة، وخيال رائع، وإرادة حاسمة، وتراءت مقتضيات الأحوال جميعاً، وقامت إلى هذا كله تزكيه، وتعمل فيه قدرة خارقة خلاقة ترسل المعاني والألفاظ إرسالاً، فتجئ كأحسن ما يكون القول تأليفا، وأبرع ما يكون الكلام إخراجاً وأسلوباً، وأقوى ما يكون البيان إعجازا وتأثيرا؛ لأنه ما قام إلا في ظلال هندسة روحية، ولا تم إلا بهدى نفحات علوية. إنه حقا قد استكمل كل ما به يكون جمال الأسلوب الخطابي في تفصيله(٢).

ونكتفي بهذا القدر الدال على ما أردنا التعبير عنه، وهو أهم السمات البلاغية للخطب المحمدية:

وهناك سمات بلاغية أخرى سيأتي تفصيلها في ثنايا تحليل خطبة الخَيْف من منى –بمشيئة الله–.

---

(١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان- صـ٥٠٦-٥٠٧ رقم ١٥١٨- محمد فؤاد عبد الباقى – دار الحديث بالقاهرة – ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

(٢) الخطابة فى صدر الإسلام. د/محمد طاهر درويش صـ ٢١٩بتصرف- دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٥م.

نص خطبة (الخَيْف من منى)[1]

جاءت الخطبة في روايات متعددة منها:

أ – روى زيد بن ثابت: أن النبى: "صلى الله عليه وسلم" خطب بالخَيْف من منى، فقال:

نضّر الله عبداً سمع مقالتى فوعاها، ثم أداها إلى من لم يسمعها؛ فَرُبّ حامل فقه لا فقه له؛ ورُبّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه.

ثلاث لا يغل عليهن قلب المؤمن: إخلاص العمل لله، والنصيحة لأولي الأمر، ولزوم الجماعة، إن دعوتهم تكون من ورائه.

ومن كان همه الآخرة: جمع الله شمله، وجعل غناه في قلبه؛ وأتته الدنيا وهي راغمة.

ومن كان همه الدنيا: فرق الله أمره، وجعل فقره بين عينه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له".

<u>ب– رواية أخرى:</u>

"نضر الله امرأً سمع منا حديثاً، فحفظه حتى يبلغه غيره، فإنه رُبّ حامل فقه ليس بفقيه، ورُبّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه" "ثلاث خصال لا يغل عليهن قلب مسلم أبداً: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم" وقال: "من كان همه الآخرة، جمع الله شمله، وجعل غناه فى قلبه، وأتته الدنيا وهى راغمة، ومن كانت نيته الدنيا فرق الله عليه ضيعته، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له".

---

(١) الخَيْف: ما ارتفع عن موضع مجرى السيل، ومسجد منى يسمى مسجد الخَيْف؛ لأنه في سفح جبلها، وسمى مسجد الخَيْف بمنى لأنه في خَيْف الجبل- لسان العرب، مادة خيف، صـ ١٣٠٤.

مصادر خطبة الخَيْف من منى

خطبته صلى الله عليه وسلم بالخَيْف بمنى [رواية الإمام أحمد فى مسنده(١)].

حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا شعبة، حدثنا عمر بن سليمان، من ولد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن عبدالرحمن بن أبان بن عثمان، عن أبيه، أن زيد بن ثابت، خرج من عند مروان نحواً من نصف النهار، فقلنا: ما بعث إليه الساعة إلا لشيء سأله عنه. فقمت إليه فسألته فقال: أجل سألنا عن أشياء سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "نضر الله امرأً سمع منا حديثاً، فحفظه حتى يبلغه غيره، فإنه رُبّ حامل فقه ليس بفقيه، ورُبّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه" "ثلاث خصال لا يغل عليهن قلب مسلم أبداً: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم" وقال: "من كان همه الآخرة، جمع الله شمله، وجعل غناه فى قلبه، وأتته الدنيا وهى راغمة، ومن كانت نيته الدنيا فرق الله عليه ضيعته، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له"

---

(١) (مسند الإمام أحمد بن حنبل ٤٦٧/٣٥)، المؤلف: أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيبانى (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق المحقق: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبدالله بن عبد المحسن التركى، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، وينظر: الخطب والمواعظ لأبى عُبيد القاسم بن سلام صـ٢٠٨- ٢٠٦ تحقيق د/ رمضان عبدالتواب- مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة- الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م وروى: قام رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بالخيف من منى فقال: نضر الله عبدا.

رواية الدرامي فى سننه:

خرج زيد بن ثابت من عند مروان بن الحكم بنصف النهار فقلت، ما خرج هذه الساعة من عند مروان إلا وقد سأله عن شيء، فأتيته فسألته قال: نعم، سألنى عن حديث سمعته من رسول الله – صَلى الله عليه وسلم– قال: نضرّ الله امرأً سمع منا حديثاً فحفظه، فأداه إلى من هو أفقه منه.

لا يعتقد قلب مسلم على ثلاث خصال إلا دخل الجنة، قال قلت: ما هى؛ قال: إخلاص العمل لله، والنصيحة لولاة الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم.

ومن كانت الآخرة نيته جعل الله غناه فى قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهى راغمة.

ومن كانت الدنيا نيته فرق الله عليه شمله، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له.(١)

رواية السيوطى فى: "جمع الجوامع" المعروف بـــ "الجامع الكبير":

"نضرّ الله عبدا سمع مقالتى فحملها إلى غيره، فَرُبّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورُبّ حامل فقه ليس بفقيه، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة للأئمة، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم، ومن كانت الدنيا همه نزع الله الغنى من قلبه، وجعل فقره بين عينيه، وشتت الله عليه ضيعته، ولم يأته من الدنيا إلا ما رزق، ومن كانت الآخرة همه جعل الله الغنى فى قلبه، ونزع فقره من بين عينيه، وكف عليه ضيعته وأتته الدنيا وهى راغمة"(٢).

---

(١) سنن الدارمي جـ١ صـ ٧٥ دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

(٢) جمع الجوامع للسيوطي جـ ١٠، صـ ٤٥٢.

ووردت الخطبة في كتاب "إعجاز القرآن" للباقلاني كما يأتي:

وروى زيد بن ثابت: أن النبي "صلى الله عليه وسلم" خطب بالخَيْف من منى، فقال:

نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها، ثم أداها إلى من لم يسمعها؛ فَرُبّ حامل فقه لا فقه له؛ ورُبّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه.

ثلاث لا يغل عليهن قلب المؤمن: إخلاص العمل لله، والنصيحة لأولى الأمر، ولزوم الجماعة، إن دعوتهم تكون من ورائه.

ومن كان همه الآخرة: جمع الله شمله، وجعل غناه في قلبه؛ وأتته الدنيا وهي راغمة.

ومن كان همه الدنيا: فرق الله أمره، وجعل فقره بين عينه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له"[1].

وقد وردت الخطبة في مراجع أخرى منها:

- **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة – د. أحمد زكى صفوت، صـ ١٥١- مكتبة الحلبي بالقاهرة – الطبعة الثانية- ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م.**
- **من خطب الرسول "صلى الله عليه وسلم" وخلفائه الراشدين – طه العفيفي – صـ ٤١- دار التراث العربي للطباعة والنشر بالقاهرة – الطبعة الأولى – ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.**
- **صحيح خطب الرسول صلى الله عليه وسلم – جمع وتحقيق إبراهيم أبو شادي – صـ ١٣٢:١١٢- دار الغد الجديد – الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.**
- **خطب الرسول –صلى الله عليه وسلم- مجدي الشهاوي – المكتبة التوفيقية.**

---

(١) إعجاز القرآن للباقلاني صـ ١٣٢- ١٣٣ تحقيق السيد صقر- الطبعة الرابعة- دار المعارف بالقاهرة.

تحليل الخطبة
الفقرة الأولى

نضر الله عبدا سمع مقالتى فوعاها، ثم أداها إلى من لم يسمعها؛ فرب حامل فقه لا فقه له، ورُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه.

تشير هذه الفقرة إلى بيان فضل العلم وشرفه، ومنزلة تبليغ الدعوة، وبيان مراتب المتلقى لهذا العلم.

فمن حفظ حديث الرسول الكريم وفهمه ووعاه، ثم بلّغَه إلى من لم يسمعه؛ نال بركة دعاء النبى - صلى الله عليه وسلم له بنضارة الوجه، من حسن بهاء فى الهيئة، ومنزلة فى القدر والجاه، وكان ممن قال الله فيهم:"ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين"(١). وأضفى عليهم من أحوال الآخرة من نضرة النعيم.

لم يذكر لنا الرواة افتتاحية الخطبة بالحمد لله، والثناء عليه، كما هو مذكور فى كثير من خطبه- صلى الله عليه وسلم- ولكن الرواة ذكروا- أن النبى- صلى الله عليه وسلم- خطب بالخيف من منى فقال: "نضر الله عبدا.....

وروى: قام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالخيف من منى فقال: نضر الله عبدا

وروى: وخطب رسول الله بالخيف من منى فقال: .....

وروى: سمعت رسول الله بالخيف خيف منى يقول: .....

---

(١) فصلت- أية ١٣٣

وروى: خطبنا رسول الله فى مسجد الخيف فحمد الله وذكره بما هو أهله[1].

ونظراً لأهمية العلم وتبليغه، وخطورة كتمانه؛ كرر الرسول الكريم الفقرة الأولى والثانية فى مقام الحث والحض على تبليغ العلم، ورويت أحاديث فى كتب الحديث فى باب العلم والحث على تبليغه[2]

وتعد بداية الخطبة بجملة "نضر الله عبدا" من براعة الاستهلال؛ لأنها تحمل بشارة تتلقاها النفس ببشاشة وسعادة واطمئنان؛ بالإضافة إلى التشويق الحاصل من الإبهام فى تنكير كلمة "عبدا"؛ لأن المتلقى يتشوق إلى معرفة ماهية هذا العبد وصفته، وهذا فيه حث على استحضار العقول، وعلى حسن السماع؛ حتى يتمكن المعنى من قلوبهم، ومن ثم يبلغوا المراد عن الوجه الأكمل، وينالوا النضارة المذكورة فى هذا الدعاء.

وقوله: "نضر الله" هى جملة دعائية، خبرية لفظاً إنشائية معنى، والمعنى: اللهم نضِّرْ عبدا، أو نضّر اللهم عبداً.

"ووقوع الخبر موقع الإنشاء إما للتفاؤل، أو لإظهار الحرص فى وقوعه، والدعاء بصيغة الماضى من البليغ يحتمل الوجهين"[3].

فقد جعل غير الحاصل حاصلاً حرصاُ على وقوعه، وكأن الله استجاب لهذا الدعاء على الفور.

---

(١) ينظر الخطب والمواعظ لأبى عبيدالله القاسم بن سلام صـ٢٠٨، وينظر جمع الجوامع للسيوطى جـ١٠ صـ٤٤٩-٤٥٠، وينظر إعجاز القرآن للبلاقلانى صـ١٣٢-١٣٣.

(٢) سنن ابن ماجة جـ١ صـ٧٣-٧٤، وسنن الترمذى صـ٤١٤-٤١٥، وجمع الجوامع للسيوطى جـ١٠ صـ٤٤٦-٤٥٤.

(٣) الإيضاح على البغية صـ ٢٧٥

وهكذا تتبدى البلاغة النبوية العالية فى مجئ الإنشاء فى صورة الخبر؛ ليشعر المتلقى بتيقن الإجابة وتحقق حصولها. ولا يخفى ما فى هذا الأسلوب النبوى من تأكيد؛ لأن الخبر هنا فى هذا السياق يحمل من التأكيد ما لا يحمله الإنشاء.

كما جاء البيان النبوِى على وفق طبع النفوس فى تعجل الخبر والاهتمام به.

"وهكذا حال النفس إذا عظم انشغالها بشيء، واشتد تعلقها به ....، فيكون حالها معه كحاله مع الأشياء الواقعة فعلا، وهذا هو معنى العبارة عن الإنشاء بلفظ الخبر وصيغته، وكأن عبارة الخبر هنا تجذب المعنى الإنشائى من حيز التوقع والرجاء إلى خير الوقوع والكينونة، وتقذف به فى الزمن الماضى لتؤكد وقوعه، وها هى تخبر عنه كما تخبر عن الأحداث السالفة والوقائع الماضية[1].

فالنفس تترقب وتسأل لمن هذا الدعاء؟ وما العمل الذى يستحق من أجله هذه البشارة العظيمة التى اهتم بها الرسول الكريم فى مطلع الخطبة، وبهذا يستميل القلوب ويرغبها فى الإقبال على كلام النبوة بوعي، وفهم، وإدراك، وقبول، ويأخذ بيد الملتقى إلى أن يتغلغل ويتعمق داخل النص لسبر أغواره بحب وشغف. وهذا من شأن براعة الاستهلال، وبداية المطالع الجيدة، التى تدعو إلى التدبر والتبصر فيما هو أت.

---

(١) قراءة فى الأدب القديم صـ٣١٢ بتصرف د. محمد أبوموسى - دار الفكر العربى- الطبعة الأولى ١٩٧٨.

وإسناد الفعل "نضر" إلى لفظ الجلالة "فيه من التعظيم والتفخيم والإجلال لشأن هذه النضارة، ولشأن صاحبها، والإشارة إلى أن الله وحده هو القادر على أن يعطى هذه النضارة وما فى معناها دون سواه، من حيث تكون مثل هذه الأمور من شئون الألوهية فحسب.

وجملة "نضر الله عبداً" مجاز انتقل من أصل معناه من الشجر والنبات والعود، يقول صاحب أساس البلاغة: " ومن المجاز: نضُر وجهُه: حسن وغض، ونضر الله وجهه وأنضره: حسّنة [١].

وهذا من المجازات التي لحقت بالحقيقة لكثرة جريانها على ألسنة العامة والخاصة، وأن معنى الاستعارة فيها صار قريباً، وكان جملة "حسن وجهه" صارت مرادفة لجملة "نضر وجهه" فى المعنى العام، وقد جاء قوله: "نضر الله عبدا" في رواية أخرى: "نضر الله امرأً"، وفى رواية: "نضر الله وجه عبد سمع مقالتي"[٢].

وبهذا يمكن حمل التعبير في الروايتين الأولى والثانية على المجاز المرسل، بالتعبير بالكل وإرادة الجزء، أو يحمل التعبير على المجاز بالحذف، أي حذف المضاف، وإنما خصت اللغة النضارة بالوجه؛ لأن الوجه هو السمة الأصلية في تشخصات الأشخاص، فتظهر عليه الأمارات الدالة على ما في باطن الإنسان، وهذا ما جاء عليه القرآن الكريم في قوله تعالى: "تعرف في وجوههم نضرة النعيم"[٣]، وقوله: "وجوه يؤمئذ ناضرة"[٤]

---

(١) أساس البلاغة مادة: نضر
(٢) جمع الجوامع للسيوطي جـ١٠ صـ ٤٥٣
(٣) القيامة- أية ٢٢
(٤) المطففين- أية ٢٤.

"والمعنى: خصه الله بالبهجة والسرور، لما رزق بعلمه ومعرفته من القدر والمنزلة بين الناس في الدنيا ونعمه في الآخرة، حتى يُرى عليه رونق الرخاء والنعمة، .... لأنه جدد بحفظه ونقله طراوة الدين فجازاه فى دعائه بما يناسب عمله".(١)

وعندما ندقق فى مجموع الروايات نجد معظمها لم يذكر الوجه، وأرى أن المقام هنا يتعلق بعموم العبد أو المرء الذى سيبلغ ما وعاه من كلام النبوة، وهذا العبد سينوب عن رسول الله فى الدعوة، ومن ثم يحتاج إلى مؤمن شديد الإخلاص يبلغ الدعوة بكل جوارحه، وبكل حواسه، فيسرى فيها نور الإيمان، ومن ثم يحتاج المقام إلى نضارة العبد كاملا ظاهرا وباطناً؛ ليشمل المعنى القريب المحسوس وهو: حسن الوجه وبريقه، والمعنى المعنوى وهو: حسن خلقه، وقدره، وجاهه، كما نصت بذلك معاجم اللغة.

وهذا يفيد دلالة الظاهر على الباطن، وتمكن صفة النضارة منهم، كأنها متأصلة ومتغلغلة فى كل الجسد، فيكون باطنهم كظاهرهم.

ولا يبعد أن يكون المراد من دعاء النبى الكريم لهذا العبد بالنضارة بكل ما تحتويه مادة "نضر" من معنى، وكذلك يشمل النضارة فى الدنيا، والنضارة فى الآخرة.

وهكذا يجب أن تكون صورة المؤمن الذى يحمل شعاع الدعوة؛ فتخرج من قلب موصول بخالقه، لتصل إلى قلوب المتلقين وقد استقرت وتمكنت من قلوبهم.

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعلى الملا الهروى القارى جـ١ صـ٣٠٦ دار الفكر- بيروت. لبنان- الطبعة الأولى ٢٠٠٢م- ١٤٢٢هـ.

وألمح في التركيب مجازاً مركباً على مجاز؛ حيث انتقلت النضارة من أصل معناها من الشجر والنبات والعود، إلى نضارة الوجه وبريقه، ثم انتقلت من نضارة الوجه وبريقه، إلى حسن الخلق والقدر والجاه وعلو المنزلة بين الناس.

وقد ذكر ابن الأثير أن نضارة العبد الأصل فيها: حسن الوجه والبريق، وإنما أراد حسن خلقه وقدره وجاهه[١].

وجاء فى لسان العرب ما يؤكد ذلك: "ليس هذا من الحسن في الوجه، وإنما معناه حسن الله وجهه في خلقه، أي: جاهه وقدره".[٢]

وبهذا يكون المعنى قد انتقل من حسن الوجه وبريقه، إلى حسن الهيئة كلها، من حسن خلق وقدر وجاه وعلو المنزلة.

وهكذا توخى البيان النبوي براعة الاستهلال فى مطلع هذه الخطبة، وما حملته من سمات بلاغية: مما يدل على الاهتمام الشديد من الرسول الكريم، وبالغ حرصه، وتأكيده على أهمية تبليغ الرسالة المحمدية.

وهو الذى قال فى حديث آخر: "بلغوا عنى ولو آية"، وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج[٣].

وإذ قد انتهينا من المطلع، فإن الحديث ينتقل بنا إلى المبلغ الذى احتفت به الجملة الأولى، والذى كان الدعاء له بنضارة الوجه وبريقه، مع حسن هيئة فى خلق وقدر وجاه.

---

(١) النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير جـ٥ صـ ٧١ تحقيق محمود الطناجي المكتبة الإسلامية.

(٢) لسان العرب مادة: نضر

(٣) صحيح البخارى صـ ٤٣٥ رقم الحديث ٣٤٦١ مكتبة أولاد الشيخ للتراث بالقاهرة- الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٨.

واختار صلى الله عليه وسلم كلمة "عبدا"؛ لأن صفة العبودية من أرفع الصفات قدراً، وأعظمها شرفاً، وأقربها إلى الله، ومن ثم وصف الله نبيه الكريم فى السياقات الدالة على مزيد الامتنان والتشريف، وذلك مثل قوله تعالى: "سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً"(١)، وقوله: "فأوحى إلى عبده ما أوحى"(٢). وكأن الأصل أن يتصف بالعبودية الحقة أو الكاملة؛ كل من يتصدى لتبليغ الرسالة، حتى يجد لدعوته صدى مباشراً، وتلقى القبول الأمثل، واللائق بجلال كلام النبوة، ومن ثم تؤتى أكلها فتجنى ثمارها.

والعبرة من السماع فى قوله: "سمع" هو الوعي، والفهم، والحفظ، والقبول، ثم الإدراك بالمقتضى والعمل به، ثم يكون التبليغ على هدى وبصيرة، بدليل قوله: "فوعاها".

والمقصود بقوله: "مقالتى" كل ما يُسمع من رسول الله من قول: سواء كان ذلك وقت هذه الخطبة أو قبلها، أو بعدها، فالأمر يشمل كل ما خرج من بين شفتي النبى – صلى الله عليه وسلم؛ بدليل روايات أخرى: "نضر الله امرأً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره".

وفى رواية "نضر الله امرأً سمع منا شيئاً فبلّغه كما سمعه(٣).

والوعي فى قوله: "فوعاها" يدل على التمكن والاقتدار، ويكون فى بؤرة الشعور، والواعي للحديث: هو أحفظ وأفهم من غيره.

---

(١) الإسراء- أية رقم "١"

(٢) النجم- آية رقم "١٠".

(٣) جمع الجوامع للسيوطى جـ١٠ صـ٤٥٣.

وجاء فى لسان العرب: "الوَعى": حفظ القلب الشيء، وعى الشيء والحديث يعيه وأوعاه، بمعنى: حفظه، وفهمه، وقبله، فهو واع. وفلان أوْعَى من فلان أي: أحفظ وأفهم، والوَعيّ: الحافظ الكيس الفقيه [١].

فهذه المعانى التى تحويها كلمة: "فوعاها"، تشير إلى أن السماع يقتضى الحفظ، والفهم، والقبول، والكياسة، والفقه.

والمبلّغ إذا كانت فيه تلك الصفات بلَّغ رسالته، وأداها دون زيادة ولا نقصان، وهذا هو المقصود الأهم، وهو ما حرص عليه الرسول الكريم، ودليل ذلك قوله: "نضر الله عبدا سمع كلامى فلم يزد فيه"[٢].

مما سبق يتأكد لنا مدى حاجة المبلّغ إلى الحفظ، والفهم، والقبول، والكياسة، والفقه؛ حتى يحافظ على أمانة التبليغ، فيؤديها على الوجه الأكمل من غير زيادة ولا نقصان، وحتى لا يدخل تحت طائلة قول الرسول الكريم: "لا تكذبوا عليَّ فإنه من كذب عليَّ يلج فى النار"،[٣] وقوله: "من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"[٤].

والتعبير بثم في قوله: " ثم أداها" يفيد التراخي لإعطاء الفرصة قبل التبليغ؛ ليتمكن أولاً من الفهم والإدراك والوعي التام، حتى يعي ما يبلّغ، ومن ثم لا يرتكب أوزار غيره.

---

(١) لسان العرب مادة: وعى.
(٢) جمع الجوامع جـ١٠ ، صـ٤٥٣.
(٣) سنن الترمذى جـ٢ ، صـ٤١٥
(٤) فتح الباري جـ١ ، صـ ٢٤٢

ومن ثم يسبق الأداء مراحل وهى: الحفظ، والفهم، والفقه، والإدراك، ومن ثم الوعي، فإذا كان الأمر كذلك تحققت الغاية الكبرى، والقيمة الأعلى، وهى: التبليغ على بصيرة، وهى أسمى الغايات، وأعلى المقاصد في هذا الباب، وتلك المعاني السامية، هي قطب الدائرة التي تدور عليها رحى هذه الخطبة، وبخاصة فقرتها الأولى.

وقوله: "إلى من لم يسمعها"، وفى رواية: "حتى يبلغه غيره"، وفى أخرى: "حملها إلى غيره"، تلك إشارة واضحة إلى أمانة التبليغ، وعدم كتمان العلم؛ لأنه من المعلوم أن الأمر بالشيء، هو نهيٌ عن ضده، فإذا كان الأمر هنا بتبليغ الدعوة، فإنه يتضمن النهى عند ضده، وهو الكتمان.

وقد أكد الرسول الكريم هذا المعنى فى خطبة له يوم النحر، فى قوله: "ليبلغ الشاهد الغائب، فإنه رُبّ مبلغ يبلغه أوعى له من سامع[1].

من أجل ذلك خص الرسول الكريم كل من بلّغ عنه سنته بهذا الدعاء المبارك؛ لما فيه من إحياء السنة، وتجديدها بين كل أفراد الأمة.

"فرُبَّ حامل فقه لا فقه له":

هذه الجملة تبين قيمة الوعي، فهي مؤكدة لجملة "فوعاها"، وهى كذلك تفيد التعليل لما قبلها؛ لتؤكد على أن التبليغ مطلوب، ومهم بعد الحفظ، والوعي، والإدراك للأدلة التي يستنبط منها الأحكام الفقهية وغيرها.

---

(١) سنن ابن ماجه جـ١ صـ٧٤.

ومعنى "لا فقه له" أي: لا فهم ولا إدراك له فى استنباط الفقه من الأدلة، فهو حامل أحكام لا يفقه ما يحمله، والمعنى: نفي تفقه لما علم، أي غير قادر على استنباط الأحكام، من أدلتها، ومن ثم لا ينتفع بما يحمل من فقه، وقد ينتفع به غيره.

ويقول السندي في حاشيته: "فرب حامل فقه" بمنزلة التعليل، لما يفهم من الحديث أن التبليغ مطلوب، والمراد بحامل الفقه حافظ الأدلة التي يستنبط منها الفقه.

وغير فقيه: أي غير قادر على استنباط الفقه من كل الأدلة إلى ما هو أفقه، أي هو فقيه –أيضا–. لكنه يحمل الفقه إلى أفقه منه، بأن كان الذي يسمع منه أفقه منه، وأقدر على استنباطه. (١)

والجملة من قبيل طباق السلب، وفيها إثبات ونفي، فالإثبات في قوله: "حامل فقه، والنفي في قوله: "لا فقه له"، والتعبير في الجملتين لافت للنظر، وموقظ للحس، ومثير للانتباه، فكيف يكون حامل فقه ولا فقه له في وقت واحد؟ ولكن بعد التأمل والنظر نجد أن الأولى صاحبها هو حامل للفقه، وناقل له، فهو مجرد حافظ لهذا الفقه وما فيه من أدلة.

والعبارة الثانية: تنفى علمه ووعيه باستنباط ما فيها من أحكام من خلال الأدلة التي يحملها، وفرق كبير بين الاثنين. وعندما يثبت هذا الفهم لدى المتلقي من معنى العبارتين؛ يترسخ المعنى، ويثبت في الأذهان، ويتمكن في القلب خير تمكن، ويستقر في العقول

---

(١) حاشية السندي على سنن ابن ماجه، كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه جـ١ صـ ١٠٢/١٠٣ محمد بن عبدالهادي التتوي نورالدين السندي. دار الجبل- بيروت- بدون

والأفهام خير استقرار، وتلك بلاغة الطباق، فهو من الأمور الفطرية المركوزة في الطباع، والتي لها علاقة وثيقة ببلاغة الكلام، إذ الضد أقرب خطوراً بالبال عند ذكر ضده، فهو من مقتضيات الأحوال وموجبات الأغراض. (١)

وبعد الانتهاء من المرتبة الأدنى من مراتب المتلقي؛ انتقل الحديث إلى مرتبة أخرى، وهى قوله: "ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه"، أي: ورب حامل فقه بلَّغه وأداه إلى من هو أفقه منه. وهذه العبارة تتضمن صيغة أفعل التفضيل، وهو قوله: "أفقه منه"، وهذا يدل على أن اثنين اشتركا في صفة، وزاد أحدهما عن الآخر. فالأول يحمل أحكاماً فقهية مع فهم قليل، وعدم قدرة على استنباط الأحكام،

والثاني: وهو "المُبلَّغ" أفقه من الأول، وهو "المبلّغ" في القدرة على استنباط الأحكام، أي: أن الثاني يستنبط من الفقه مالا يفهمه الأول.

ونفهم من هذا أن حامل الأحكام لو لم يبلغ ما يحمل، حرم نفسه من الخير، وعوقب بكتمان العلم، ولو قال كيف أبلغ من هو أفقه منى وأوعى، وامتنع عن التبليغ؛ لحرم الفقيه مما يحمله، ومن ثم حرم الأمة كذلك؛ لأن الفقيه بما يحمل هو أقدر الناس على توصيل الرسالة على الوجه الأكمل، وبهذا تبُلَّغ السنة وتجدد، وينتفع بخيرها، وتستضئ الأمة بنورها.

---

(١) الصبغ البديعى د. أحمد موسى صـ٤٧١ بتصرف دار الكاتب العربى ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م

وجاء معنى قوله: "ورُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه" فى خطبة أخرى له صلى الله عليه وسلم، وذلك فى قوله: "فليبلغ الشاهد الغائب، فرُبَّ مبلغ أوعى من سامع"(١).

وقد استنبط شراح الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم السابق ما يأتى:

* وجوب تبليغ العلم على الكفاية، وقد يتعين فى بعض حق الناس.
* جواز تحمل الحديث لمن لم يفهم معناه ولا فقهه؛ إذا ضبط ما يحدث به، ويجوز وصفه من أهل العلم.
* ويترجح أن "رُبَّ" فى هذا المقام للتقليل، واستندوا فى ذلك إلى رواية أخرى وهى: "فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه" (٢).
* وقد يكون فى التابعين من يمتاز على بعض الصحابة بكونه أفقه منه، فيما بلغه له عنه صلى الله عليه وسلم، ولا بدع فى ذلك؛ فإنه قد يكون فى المفضول مزايا لا تكون فى الفاضل. (٣)

---

(١) فتح البارى لابن حجر العسقلانى جـ٣ صـ ٦٧.
(٢) السابق جـ١ صـ١٩٠.
(٣) فتح البارى جـ٣ صـ٦٧٣- عمدة القارى للإمام العينى جـ٢ صـ٨٨ تحقيق د. الشحات الطحان وآخرون- الطبعة الأولى ٢١- ٢ السحار للطباعة والنشر، ودليل الفالحين لمحمد بن علان المكى- تحقيق عصام الدين الصبابطي جـ٤ صـ٤٨- دار الحديث القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٨٨م.

الفترة الثانية

"ثلاث لا يغل" عليهن قلب المؤمن، إخلاص العمل لله، والنصيحة لأولى الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم.

لما حث رسولنا الكريم في الفقرة الأولى من سمع مقالته على التبليغ؛ أراد أن يبين أن هناك خصالاً من شأنها أن ينطوي عليها قلب المبلغ عليها، فإذا تمكنت من قلبه ساعدته في التبليغ على الوجه الأكمل. وجاءت هذه الفقرة الثانية من الخطبة بصياغة دقيقة محكمة ومتماسكة، لا يمكن فصل جملة عنها، أو حذفها؛ لأنها بمنزلة الجملة الواحدة.

وقد صيغت في قالب الإجمال والتفصيل الوارد في سياق التركيب العددي، وهو ما يسمى في البلاغة العربية بـــ "التوشيع"، وهو صورة من صور الإطناب، وفرع من فروع الإيضاح بعد الإبهام.

وعرفه البلاغيون بقولهم: "أن يؤتى فى عجز الكلام بمثنى مفسر باسمين، أحدهما معطوف على الآخر[1]. وقد تم تحقيق هذا المصطلح وتحريره في بحث آخر[2].

وكان من الممكن أن يسلك الكلام فى أداء المعنى طريقاً آخر غير هذا التركيب النبوي فيقال: اخلصوا العمل لله، والزموا جماعة المسلمين، وناصحوا ولاة الأمر؛ ولكن ما جاء به البيان النبوي فيه من التشويق والإثارة ما لا يخفى، والشيء الذي يأتي بعد التشويق

---

(١) ينظر شروح التلخيص جـ٣ صـ٢١٦ والإيضاح على البغية صـ ٣٤٧.

(٢) ينظر بحث: بلاغة الإجمال والتفصيل للتركيب العددي فى البيان النبوي. بحث منشور في مجلة المؤتمر الدولي الثالث بكلية اللغة العربية بالزقازيق للعام ٢٠١٢. الجزء الثاني صـ١٦٠٥

يقع فى النفس فضل وقوع، ويتمكن فى القلب خير تمكن. وتلك من كمال بلاغته صلى الله عليه وسلم، فضلا عن قوة الأسلوب وتماسكه.

وبدأ التركيب بالعدد "ثلاث" مذكراً، مما يدل على أن المعدود قدر مؤنثاً أى: ثلاث خصال، وعلى هذا يكون فى التعبير مجاز بالحذف، وهو حذف المضاف إليه.

وجاء بالعدد "ثلاث" نكرة لوجود التنوين عوضاً عن المضاف إليه فقربها إلى المعرفة، ومن ثم جاز ابتداء الكلام بها.

ولا يمنع أن يكون "ثلاث" صفة لموصوف محذوف تقديره: خصال ثلاث، فلما حذف الموصوف قامت الصفة "ثلاث" مكانه.

وقال البيضاوي عن علاقة جملة "ثلاث لا يغل" بما قبلها: "هذه الجملة استئنافية تأكيد لما قبلها، فإنه- صلى الله عليه وسلم - لما حرّض على تعلم السنة ونشرها؛ قفاه برد ما عسى أن يعرض مانعاً، وهو الغل من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تعلم الشرائع ونقلها ينبغي أن يكون خالصاً لوجه الله مبرأ عن شوائب المطامع والأغراض الدنيوية، وما كان كذلك لا يتأثر عن الحقد والحسد.

وثانيها: أن أداء السنن إلى المسلمين نصيحة لهم، وهى من وظائف الأنبياء، فمن تعرض لذلك وقام به كان خليفة لمن يبلغ عنه، وكما لا يليق بالأنبياء أن يهملوا أعداءهم، ولا ينصحوهم، لا يحسن من حامل الأخبار وناقل السنن أن يمنحها صديقه ويمنع عدوه.

وثالثا: أن النقل ونشر الأحاديث إنما يكون غالباً بين الجماعات، فحث على لزومها، ومنع عن النأي عنها لحقد وضغينة، تكون بينه

وبين حاضر بها ببيان ما فيها من الفائدة العظمى، وهى إحاطة دعائهم بهم من ورائهم، فتحرسهم من مكائد الشيطان وتسوله.[1]

والضمير في قوله "عليهن" يعود إلى الخصال الثلاث.

"ويحتمل أن يكون في قوله: "عليهن" حالاً من القلب الفاعل، فيكون المعنى: قلب الرجل المسلم حال كونه متصفا بهذه الخصال الثلاث، لا يصدر عنه الخيانة والحقد والشحناء، ولا يدخله ما يزيله عن الحق.

ويحتمل أن يكون قوله: "عليهن" متعلقاً بقوله: "يغل" أي: لا يخون في هذه الخصال، أي من شأن قلب المسلم أن لا يخون ولا يحسد فيها؛ بل يأتي بتمامها بغير نقصان في حق من حقوقها"[2].

والمعنى: إن هذه الخصال الثلاث الآتية؛ إن وجدت في قلب امرئ واتصف بها، واستقرت معه، وأوفاها بتمامها؛ صلح قلبه، ومن ثم صلح كله، مما ينتفي عنه صفة الغل.

وجاء في لسان العرب: قيل معنى قوله: "لا يغل عليهن قلب مؤمن" أي: لا يكون معها في قلبه غش ودغل ونفاق، ولكن يكون معها الإخلاص في ذات الله عز وجل.

وروى: "لا يَغِلُّ"، وروي "ولا يُغِلِ"، فمن قال: "يغل" بالفتح للياء وكسر العين؛ فإنه يجعل ذلك من الضغن، والغل وهو الضغن والشحناء، أي: لا يدخله حقد يزيله عن الحق.

---

(١) قوت المغتذى على جامع الترمذي للسيوطي جـ٢ صـ٦٦١- ٦٦٣ تحقيق ناصر محمد الغريبي- جامعة أم القرى مكة المكرمة ١٤٢٤هـ

(٢) جمع الجوامع للسيوطي جـ١٠ صـ٤٥١

وعلى رواية: "يغل" بضم الياء جعله من الخيانة، وأما: غلَّ يغُلّ غلولا فإنه الخيانة فى المغنم خاصة، والإغلال الخيانة في المغنم وغيرها[١].

وقال الزمخشرى فى الفائق: "إن هذه الخلال يستصلح بها القلوب، فمن تمسك بها طهر قلبه من الغل والفساد، و "عليهن" فى موضع الحال، أي: "لا يغل قلب مؤمن كائنا عليهن"[٢]

ومعنى ذلك: أنه لا يدخل قلبه شيء يمنعه من تبليغ ما سمعه، ويعوقه عن أداء الرسالة، ومن ثم يجب التمسك بهذه الخصال حتى لا يبقى فى القلب شيء يمنع صاحبه من التبليغ.

وتتبدى البلاغة النبوية العالية في مجئ الكلام على صورة الإجمال والإبهام التي اشتاقت النفس وتطلعت إلى تفصيلها وتوضيحها؛ لمعرفة هذه الخصال الثلاث التي هى سبب فى إصلاح قلب المؤمن، الذي سمع فوعى، ليبلغ العلم كما يريده النبي الكريم.

وكأن جملة الإجمال هى دعوة إلى التخلية قبل التحلية، وهى تخلية القلب من كل شيء يمنعه من التبليغ؛ لأن القلب الصافي السليم من الأمراض التي تحول بين صاحبه، وبين الإيمان الصادق؛ تخرج منه الكلمات صادقة إلى قلوب المتلقين فتستقر فى أذهانهم، وتؤتى ثمارها المرجوة.

ومن الواضح الجلي أن القلب إذا صلح صلح الجسد كله. مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: "ألا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت، فسد الجسد كله، ألا وهي القلب" [٣].

---

(١) لسان العرب مادة: غلل.

(٢) الفائق فى غريب الحديث للزمخشري جـ٣ صـ٧٢ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- على محمد البجاوى-طبعة دار المعرفة - بيروت- الطبعة الثانية- بدون.

(٣) صحيح البخارى- الحديث رقم ٥٢ صـ١٧.

ونقف مع أول خصلة من الخصال الثلاث، وهي جملة "إخلاص العمل لله،" أي: منها، أو إحداها: إخلاص العمل لله.

فنلحظ أنه فصل بين جملة التفصيل والإيضاح وبين ما سبقتها، وهى جملة الإجمال والإبهام، لكمال الاتصال بين الجملتين؛ لأن الجملة الثانية بمنزلة البيان والتفسير للجملة الأولى لما فيها من نوع خفاء وإبهام.

أو يكون الفصل لشبه كمال الاتصال، بجعلها جواباً لسؤال مقدر، وكأن سائلاً سأل: ما هذا الخصال الثلاث؟ فجاء الجواب: إخلاص العمل لله، وبدأ بالإخلاص؛ لأن الإخلاص سر نجاح الأعمال وقبولها.

وإخلاص العمل لله هنا له علاقة وثيقة بين قوله صلى الله عليه وسلم: "نضر الله عبدا سمع مقالتى فوعاها"، فالعبودية الخالصة لابد فيها من إخلاص العمل له، وحتى يعي المؤمن ما سمع، ثم يوفق فى أدائه إلى من هو في حاجة إليه؛ لابد له من إخلاص العمل لله، لأنها رسالة وأمانة، لا يبتغى الأجر منها إلا من الله، وهى رسالة الأنبياء والمرسلين، وهكذا كان سننهم وديدنهم جميعاً، كما قال القرآن الكريم على لسانهم: "إن أجرى إلا على الله" هود ٢٩[١]، وقوله: "إن أجرى إلا على الذي فطرني" هود ٥١[٢]، وغيرها من الآيات التي توضح هذا الشأن.

والخصلة الثانية: "والنصيحة لأولى الأمر" وإذا كان الإخلاص نابعاً من قلب موصول بخالقه، فكذلك النصيحة لا تخرج إلا من قلب سليم نقى يحب الخير لغيره، كما يحبه لنفسه.

---

(١) هود ٢٩.
(٢) هود ٥١.

ولا شك في أن النصيحة لأولى الأمر من الأهمية بمكان؛ لأن ثمرتها تعود بالنفع على الأمة كلها؛ فإذا صلح الحاكم صلحت رعيته.

وهنا انتقال من صلاح الفرد إلى صلاح الأمة كلها عن طريق صلاح وليّ أمرها؛ لأنه يلزم من صلاح الحاكم فى الغالب- صلاح المحكومين.

وجاءت النصيحة فى رواية أخرى على صيغة المفاعلة في قوله: "والمناصحة لولاة الأمر"، وفى رواية: "ومناصحة ولاة الأمر"، وهذه الصياغة فيها معنى المفاعلة، وهى تعنى مفاعلة بين الطرفين الحاكم والمحكوم.

والمناصحة فى هذا الباب فيها منازعة ومغالبة، ومشقة للنفس؛ لأن كثيراً ما تجبن النفوس عن ذلك؛ خوفاً من جور السلاطين وبطشهم، ومن ثم كانت أفضل كلمة حق تقال عند سلطان جائر.

ولا يكون الأمر كذلك إلا عن إخلاص لله، وحب فى الله، وهى دعوة للمودة والمحبة بين الراعي والرعية.

"والسياسة الشرعية تحرص الحرص الأكيد على استقرار أحوال الأمة، وتؤثم الخروج على من تولى أمرها؛ ولذلك كان التوجيه الأكيد والواجب بالمناصحة، وهو أول واجبات الأمة، وحق الوالي عليها. وقبول النصح ليس تفضلا من الحاكم، وليس إذعانا من المحكوم، وإنما أمر واجب على الفريقين، مادام قد خلص هذا النصح من الشوائب، وتحلى بالصدق والعقل والإخلاص"[1].

---

(١) شرح أحاديث من صحيح البخاري د. محمد أبو موسى صـ ٤٧٠ بتصرف.

ولا يخفى أثر الحاكم في تبليغ الدعوة وتفعيل برامجها، والإنفاق عليها، ومن ثم نجاحها.

وأما الخصلة الثالثة: فهي "لزوم الجماعة"، وفى رواية "ولزوم جماعة المسلمين"، وفى أخرى: "والاعتصام بجماعة المسلمين".(١)

ومن خلال هذه الخصلة الثالثة تكتمل منظومة الأمة؛ صلاح الفرد، والعلاقة الحميمة بين الحاكم والمحكوم، ثم لزوم جماعة المسلمين. ومن ثم يتحقق الترابط والتعاون بين كل أفراد المجتمع، وفى ذلك صلاح جماعة المسلمين.

* ونلاحظ التناسب بين الخصال الثلاث، فنجد بداية الخيط وأساس النجاح وسر القبول هو إخلاص العمل لله، وهذا الذي يجب أن يعمر قلب المؤمن أولا، وهذا الإخلاص لا يقتصر ثمرته على الفرد فحسب، وإنما يتعداه إلى مناصحة الحاكم؛ لأنه في صلاح الحاكم صلاح المحكومين جميعاً، وفى ذلك حماية للدعوة والدعاة، وحفظ الدين.

ثم جاء التأكيد في الخصلة الثالثة على لزوم جماعة المسلمين. والاعتصام بحبل الله جميعاً، وهو قمة الوحدة والاتحاد بين الفرد، والحاكم، وجماعة المسلمين.

وإذا كان الأمر على ما مضى؛ فإن ثمرة دعائهم ودعوتهم تحدق بهم، وتحيط بهم جميعاً، فتحرسهم من كيد الشيطان ومن هوى أنفسهم، ومن ثم تثبتهم وتحفظهم، وهذا من ثمرات الوحدة، والاتحاد، والاعتصام بحبل الله، والإخلاص له.

---

(١) جمع الجوامع جـ١٠ صـ ٤٥٣.

وهكذا يظهر حرص الرسول الكريم على إصلاح الفرد وصلاح الحاكم، وصلاح جماعة المسلمين، وفى ذلك يصير المجتمع في قوته وتماسكه كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، وهذا ما يحرص عليه الإسلام – دائماً– في الحفاظ على الكيان السياسي، والاجتماعي للدولة المسلمة.

والدعوة إلى كل هذا هو سمة من سمات الخطابة النبوية، التي تدعو إلى بناء الأمة من خلال بناء الفرد، ولا يكون ذلك إلا بإخلاص العمل لله، والاعتصام بحبله، والتسمك بكتابه وسنة نبيه الكريم.

ولا يخفى أن نجاح ذلك كله لابد فيه من التخلية التي سبق ذكرها، وهى تخلية القلب من أمراض القلوب.

ولا شك في أن هذه الخصال الثلاث التي ذكرها الرسول الكريم هنا إذا اجتمعت في قلب المؤمن، كانت حاجباً لدخول ما يفسده، ومن ثم وجد صاحب هذا القلب الطريق ممهداً لتبليغ السنة على الوجه الأكمل.

الفقرة الثالثة والأخيرة

"ومن كان همه الآخرة جمع الله شمله، وجعل غناه فى قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة"

"ومن كان همه الدنيا فرق الله أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له.

رواية أخرى:

"ومن كانت الدنيا همه، نزع الله الغنى من قلبه، وجعل فقره بين عينيه، وشتت الله عليه ضيعته، ولم يأته من الدنيا إلا ما رزق".

ومن كانت الآخرة همه جعل الله الغنى في قلبه، ونزع فقره بين عينيه، وكف عليه ضيعته، وأتته الدنيا وهي راغمة.

بنيت هذه الفقرة على أسلوبين من أساليب العربية هما:

أسلوب الشرط، وأسلوب المقابلة، الذي بُني عليهما أسلوب الترغيب والترهيب، الذي له كبير الأثر في إصلاح الأمة وتزكية نفوسها.

وهذه الفقرة امتداد طبعي لما سبق، بعد أن تحدث عن سلامة القلب الذي وعى ما سمع، وبناه على إخلاص العمل لله، والنصيحة لولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، وهذا تثبيت للعقيدة وحصن أمان للمسلم، فأراد الرسول الكريم أن يرسخ في قلوب الأمة حب الآخرة، والسعي إليها، فجاء الترغيب فيها عن طريق الشرط وجزائه، وهو بمنزلة التحفيز على تحقيق الجزاء؛ لما هو معلوم من أنه إذا تحقق الشرط تحقق الجزاء. وفى المقابل في الطرف الثاني ترهيب وتحذير من خطورة الركون إلى الدنيا.

وفى الرواية الأولى بدأ الحديث عن الترغيب في الآخرة، فهي خير وأولى من الدنيا، وهى محط أنظار المؤمنين.

فما دام قد تحدث في الفقرة الثانية عن إخلاص العمل لله؛ فإن إخلاص العمل لله من أجل أن يكون له حظ من الثواب فى الآخرة عظيم.

لأن من الواضح الجلي أن الدنيا مطية للآخرة ومزرعتها.

والتعبير في جملة الشرط مسلط على من كانت الآخرة همه، مشغولا بها، مسيطرة على كل جوارحه. وجاءت جملة الشرط واحدة وهى: "من كان همه الآخرة"، وفى رواية أخرى: "ومن كانت الآخرة همه"، أما جملة الجزاء فجاءت متعددة كلها بصيغة الماضي:

الأولى: جملة "جمع الله شمله"، وهى تفيد الاستقرار، وراحة البال، والاطمئنان فى سكينة وإيمان؛ مما ينعكس على نفسية صاحبها، فيكون فى تركيز دائم، واهتمام بالغ بأمور الآخرة، فحياته كلها لله، من قبيل قوله تعالى: "قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين"[1]

وإذا تأملنا مقابل ذلك وهو قوله: "من كان همه الدنيا فرق الله أمره" نجد صاحب الدنيا فقد راحة البال، والسكينة، والاطمئنان، وراح يركض في الدنيا ركض الوحش في البرية.

والجملة الثانية من جملة الجزاء: "وجعل غناه فى قلبه" والمقصود هو غنى النفس، الذي عبر عنه الرسول الكريم فى قوله: "ليس الغنى عن كثرة العرض، وإنما الغنى غنى النفس"[2]

---

(١) الأنعام- آية "١٦٢".

(٢) صحيح مسلم صـ٢٦٦- حديث رقم ١٠٥١- تحقيق هندي صابر قاسم مكتبة أولاد الشيخ للتراث بالقاهرة- الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

فليس المقصود بالغنى هو الثراء الذي يطغى صاحبه ويشغله عن آخرته، وجملة "وجعل الله غناه في قلبه" كناية عن الاستقرار والاطمئنان وراحة البال؛ لأنه يعلم علم اليقين أن رزقه لن يأخذه غيره، ومن ثم لم ينشغل به؛ لأن غناه فى قلبه، ومادام كذلك فالقلب مطمئن لا تشغله الدنيا بزخرفها. ومن ثم جاء التعبير بـــ "في" لإفادة تمكن الغنى من قلب صاحبه كتمكن الظرف بالمظروف.

ومن الواضح الجلي أن التعبير فى قوله: "وجعل الله غناه فى قلبه"، يترتب عليه ضمنا أن الله قد نزع الفقر منه، بدليل الرواية الأخرى التي نصت على ذلك صراحة، وذلك في قوله: "جعل الله الغنى في قلبه، ونزع فقره من بين عينيه"، ونزع الفقر من قلب العبد هنا بمنزلة التخلية قبل التحلية.

فقد خلى الفقر ونفاه، ليحل مكانه الغنى الذي يصحبه الرضا والاطمئنان، ولا يخفى تأكيد المعنى ورسوخه بالجمع بين المتقابلين في هذه الرواية، بوجود الغنى، ونزع ضده وهو الفقر؛ وتلك غاية الإقناع والترغيب في المطلوب.

وجاءت الجملة الأخيرة من جملة الجزاء جامعة للجملتين السابقتين وهى قوله:

" وأتته الدنيا وهى راغمة"، وهى من قبيل ذكر العام بعد الخاص؛ لأنه إذا كانت الدنيا ستأتيه وهى راغمة فما الذي سيشغله بعد ذلك؟

فهذه العبارة جمعت كل التفاصيل والأحوال، وتلك من البلاغة العالية لرسولنا الكريم، فلم يقل: أتته الدنيا راغمة، ولكنه جاء بالضمير "هي" لأن الضمير "هي"، والجملة الحالية مزيد تعيين لحال

الدنيا، أي: هي التى أُرغِمت، فأفاد التعبير أنها بكامل زخرفها وزينتها آتية مسخرة له.

فالتعبير يوحى أن الدنيا تأتيه دون أن ينشغل بها، أو يسعى إليها؛ لأن الله هو الذي تولى أمر دنياه وكفاه شرها؛ لانشغاله بالعبادة، التي توصله إلى آخرته، ولأنه ترك الدنيا من أجل الله، وعافها فى سبيله، كما أنه علم عن عقيدة راسخة، أنه خلق من أجل العبادة، مصداقاً لقوله تعالى: "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون. ما أريد منهم من رزق وما أريد منهم أن يطعمون. إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين"(١).

ولا يخفى أن جملة "أتته الدنيا وهى راغمة"، يمكن حملها على الاستعارة المكنية بتصوير الدنيا بإنسان له إرادة، ومن ثم فهي التي سعت بنفسها إلى من كانت الآخرة همه، وأتته وهى مسخرة له، وهذا التصوير صور لنا الدنيا وهى صغيرة وذليلة، وآثر التعبير بـــ "أتته"، دون جاءته؛ لأن الإتيان مجئ "بسهولة"(٢) فهذا أمر سهله الله على من كانت الآخرة همه. وأنه أمر لا صعوبة فيه لمن حقق شرطه، وهو العبودية الخالصة لله.

وكذلك التعبير بـــ "راغمة" فيه معنى الإذلال والصغار؛ كأن الله سخط على الدنيا وأرغمها على الإتيان وهى صاغرة لمن كانت الآخرة همه، وهذا كله تكريم للعبد الذي عمل بمقتضى العبودية لله، وكل ذلك متعلق بقوله: "نضر الله عبدا".

---

(١) الذاريات- أية ٥٦- ٥٨.

(٢) مفردات ألفاظ غريب القرآن للراغب الأصفهاني مادة: أتى.

وهذه الصفات مجتمعة في جملة الجزاء تجعل الطريق مهيئة للداعية أن يبلغ دعوته على هدى وبصيرة كما أمر الله ورسوله؛ لأنه ليس عنده ما يشغله، ولا يعوقه عن التبليغ ما دام الله قد جمع شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة ومسخرة له فلم يفتن بها، وبهذا يتفرغ للتبليغ بكل جوارحه. وهو مطمئن البال.

ومن تحققت فيه هذه الخصال والأحوال؛ تحققت فيه لا محالة الخصال الثلاث السابقة التي ذكرت في الفقرة الثانية، والتي بها تستصلح القلوب وهى: إخلاص العمل لله، والنصيحة لأولى الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، وهذا نتيجة طبيعية ومنطقية لمن آثر الآخرة على الدنيا بشواغلها.

وكما لا يخفى وصل بين الجمل للتوسط بين الكمالين؛ لا تفاق الجمل في الخبرية لفظا ومعنى، وتناسب الجمل في الفعلية، وفى كونها أفعالاً ماضية: كان، وجمع، وجعل، وأتته.

ونلحظ كثرة الأفعال الماضية التي تدل على تحقيق وقوعها فى جملة الجزاء بعد تحقق شرطها، كما نلحظ أن هذه الجمل مع تعددها لكنها كالجملة الواحدة فى تماسكها؛ لأن جملة الشرط وجوابها تؤدى إلى قوة الربط والتوكيد والامتزاج بين جملها، فضلاً عن التشويق الذي يحدثه أسلوب الشرط؛ لأن المتلقى عندما يقف على جملة الشرط يشتاق إلى جملة الجزاء، فإذا تحقق له ذلك؛ تمكن المعنى فى قلبه خير تمكن. واستقر فى ذهنه خير استقرار.

كما تؤكد على تحقيق وقوع الجزاء إثر تحقق الشرط، ولا سيما إذا كان الذي سيتفضل بالعطاء هو الله. في قوله: "جمع الله شمله"، فإسناد الفعل إلى الله "عز وجل" يعطى مزيداً من الثقة

والاطمئنان الكامل بتحقق العطاء، وهذا من كمال بلاغته صلى الله عليه وسلم. وهذا من شأنه أن يحقق الترغيب الكامل فى الآخرة.

وإذ قد فرغنا من الطرف الأول من المقابلة فى الفقرة الأخيرة؛ فإن الحديث ينتقل بنا إلى الربط بين الطرف الثانى من هذه المقابلة، وهو من كانت الدنيا همه ونيته. وفرق بين الطرفين كبير؛ لأن الطرف الأول من المقابلة حقق الغاية الكبرى، والمقصود الأسمى من خلق الإنسان، وهو العبودية الخالصة لله، فقد ترك الدنيا من أجل الله، وعافها فى سبيله، وجعل حياته كلها لله.

أما الطرف الثانى من المقابلة فقد حصر نفسه فى دنياه بعيداً عن آخرته؛ فسيطرت عليه الدنيا بزخرفها وشغلته عن الآخرة.

وجاءت جملة الجزاء الأولى فى قوله: "فرق الله أمره" وفى رواية: "فرق الله عليه ضيعته". والضيعة كل ما يملكه الإنسان فى حياته ليقتات منه، ويعينه على أمور دنياه.

"وضيعة الرجل: حرفته وصناعته ومعاشه وكسبه.....، وإذا انتشرت على الرجل أسبابه قيل: فشت ضيعته حتى لا يدرى بأيها يبدأ"

وهذا الكلام الأخير من لسان العرب كناية عن التيه والحيرة، وأين ذلك من الاطمئنان والسكينة والاستقرار في الطرف الأول من المقابلة في "جمع الله شمله وأمره".؟

ونلحظ دقة الرسول الكريم في الألفاظ، فقد بنى كلمة "فرّق" بالتشديد، وجاء في لسان العرب: أن التفريق أصله التكثير، ويقال ذلك في تشتيت الشمل والكلمة، وقيل: إن فرَق فرْقاً للصلاح، وفَرّق تفريقاً بالتشديد للإفساد[1].

---

(١) لسان العرب مادة: فرق

ويكون المعنى هنا أن من جعل الدنيا همه ونيته أفسد عليه حياته، وهذا من سخط الله عليه، وإذا كان صاحب الطرف الأول من المقابلة أن الله "جعل غناه فى قلبه"؛ فإن صاحب الطرف الثانى من المقابلة: "جعل فقره بين عينيه"، وهنا إشارة إلى عدم الرضا، وعدم القناعة، فدائماً ما ينظر إلى ما ليس عنده ولو أُعطي واديين من ذهب لابتغى لهما، ثالثاً ورابعاً..... ولا يملأ جوفه إلا التراب. فهو من الناحية النفسية فقير محتاج دائماً، وفى صراع دائم مع الفقر، ومن ثم فقد الأمان والاستقرار وراحة البال.

ونلحظ دقة التعبير في ملازمة الفقر لصاحب الدنيا في قوله: "بين عينيه"، فالفقر لا يغيب عنه لحظة واحدة، وكأنه في كل لحظة يرى السخط والغضب بسبب عدم الرضا، فأصبح الهم والغم حليفه في كل لحظة، كما كانت الدنيا هي همه ونيته مسيطرة عليه من كل جانب، وإذا كان الشيء بين العينين فهو لا يغيب أبداً، ولا يستطيع نسيانه لحظة واحدة.

وتتبدى الدقة البيانية المحمدية في التعبير بقوله: "جعل فقره بين عينيه"، فالتعبير يُحمل على أكثر من وجهة بيانية، أوضحها: أنه شبه الفقر بشيء محسوس يلقى أمام العين على سبيل الاستعارة المكنية، فقد جسد الفقر صورة ماثلة وشاخصة أمام عين صاحب الدنيا.

وأرى هنا أن حملها على التمثيل أبر وأوفى بالمقام، بتصوير هيئة الفقر وتمكنه من الإنسان وسيطرته عليه وعدم زواله عن ذكره وقلبه وخاطره، بهيئة شيء محسوس ماثل وشاخص لا تخطئ العين رؤيته، وقد أحاطه من كل جانب؛ بحيث لا يستطيع الهرب منه، فضلاً

عن حالة الزعر والهلع التي تكتنفه من هذه الصورة المخيفة، وهذا الهم الثقيل الذي لا يفارقه.

وبمثل هذا التمثيل أشاد به الإمام عبدالقاهر الجرجاني في قول الشاعر "سعد بن ناشب المازني":

إذا همّ ألقى بين عينيه عزمه ∴ ونكب عن ذكر العواقب جانبا

وقد جاء به الإمام شاهدا على زيادة تأثير التمثيل بالمشاهدة، وأن العبارة بالتمثيل أبلغ تأثيراً من العبارة بغيره، وأن النفس بمثل هذا البيت تمتلأ سرورا، وتدرك المسرة التي لا تملك النفس دفعها عنه.

ويعلل لذلك قائلاً: "ولا تقل إن ذلك لمكان الإيجاز، فإنه إن كان يوجب شيئاً منه، فليس الأصل له؛ بل لأن أراك العزم واقعاً بين العين، وفتح إلى مكان المعقول من قلبك باباً من العين[1]

كما نلاحظ أن هذه المقابلة في هذه الخطبة جاءت في ثوب التفويف- وهو: "أن يؤتى في الكلام بمعان متلائمة في جمل مستوية المقادير أو متقاربتها[2].

ولما كان الكلام في هذه الخطبة عمن كانت الدنيا همه ونيته، ونال الجزاء من الله، بأن فرّق شمله وأمره، وجعل فقره بين عينيه، ونزع الله غناه من قلبه؛ فإن حمل التعبير على الاستعارة التمثيلية أبلغ وأبر لهذا المقام؛ لأنه ليس الهدف هو رؤية الفقر شاخصاً أمام العين، فقد يرى الإنسان صورة المعنوي مجسدة أمام عينه لحظات ثم تغيب عنه، أو يغيب هو عنها وينساها، ولكن المقام هنا يصور حالة

---

(١)أسرار البلاغة صـ١٢٨/١٢٩ تحقيق الشيخ شاكر مطبعة المدني بالقاهرة الطبعة الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩١م، والبيت في شرح الحماسة جـ١ صـ٣٥.

(٢) الإيضاح على البغية جـ٤ صـ٥٨٥.

الإنسان وهو في حالة هم وغم دائمة، فهو صاحب نفس يائسة حائرة، لأنها نفس سخط الله عليها.

ومن ثم فإن هذا التعبير يحمل كذلك في طياته كناية مبنية على المجاز السابق، وهى كناية عن دوام حالة الهم واستمراره، وملازمته لصاحبه، لا ينفك عنه، لأنه يلزم من سيطرة الفقر عليه، وعدم زواله عن قلبه وخاطره، دوام الهم والحيرة والقلق، فهي نفس ساخطة وغير راضية، ويلزم من كل ذلك عدم الاستقرار والاطمئنان، فأين ذلك كله من صاحب النفس المطمئنة، التي جمع الله أمرها، وجعل غناها في قلبها، وأتته الدنيا وهى راغمة؟ فشتان بين الصورتين!

فالكناية زادت في إثبات المعنى، فجعلته أبلغ وآكد، فقد كانت صورة الفقر الماثلة بين عينه دليلاً على دوام همه وحيرته وقلقه.

"أما الكناية فإن السبب في أن كان للإثبات بها مزية، لا تكون للتصريح أن كل عاقل يعلم إذا رجع إلى نفسه، أن إثبات الصفة بإثبات دليلها وإيجابها بما هو شاهد في وجودها أكد وأبلغ في الدعوى من أن تجئ إليها فتثبتها هكذا ساذجاً غفلاً. وذلك أنك لا تدعى شاهد الصفة ودليلها إلا والأمر ظاهر معروف، وبحيث لا يشك فيه، ولا يظن بالمخبر التجوز والغلط.

ثم ننتقل بعد ذلك إلى الجملة الأخيرة من جملة الجزاء وهى نتيجة طبعية ومنطقية لما سبق من مقدمات، وهى محصلة سعيه وركضه في الدنيا كما يركض الوحش في البرية، وجاءت صياغة الجملة بأسلوب القصر وطريقه النفي والاستثناء، في قوله: "ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له"، وجاءت رواية أخرى: "ولم يأته من الدنيا إلا ما رزق"، وهذه الصياغة تأكيد لما هو معلوم أن الرزق مقدر

ومكتوب، ويؤكد التعبير بأسلوب القصر على أن رزق الإنسان محصور ومقصور عليه لا يتعداه إلى غيره، وكذلك الإنسان لا يستطيع أن يأخذ رزق غيره؛ لأن رزق غيره مقصور على صاحبه كذلك، فكل إنسان محصور في رزقه الذي قدره له الرزاق المتين، ومن ثم جاء التعبير بـــ "كتب" دون غيرها؛ ليفيد أنه مكتوب منذ الأزل، وتدل "كتب" على زيادة التوثيق؛ لأن أصل الكتابة: النقش على الحجر، والرق، والعظم، وما شاكل ذلك من الأشياء التي تثبت ولا تمحى، ومن ثم دلت الكتابة على الإحكام وشدة التوثيق، ويعبر عن الكتابة بالقضاء الممضى، وما فى حكم الممضى(١).

وجاء التعبير بـــ "كُتب" على ما لم يسم فاعله؛ لأن الفاعل معلوم، وهو الله الرزاق، ولا يوجد سواه، ومن ثم لم ينسب الفعل إلا له، وتدل الصياغة كذلك على أن الرزق كتب منذ الأزل، بدليل الرواية الأخرى "ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له"(٢).

ويؤكد ذلك ما قال الرسول الكريم في خطبة له يوم أحد: "وإنه قد نفث الروح الأمين في روعي؛ أنه لن تموت نفس حتى تستوفى أقصى رزقها لا ينقص منه شيء وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله ربكم، وأجملوا في طلب الرزق، ولا يحملنكم استبطاؤه على أن تطلبوه بمعصية ربكم فإنه لا يقدر على ما عنده إلا بطاعته(٣).

فالإنسان لا يستطيع أن ينفك عن رزقه، ورزقه كذلك لا ينفك عنه.

---

(١) لسان العرب والمفردات في غريب القرآن مادة: كتب.
(٢) سنن الدارمي جـ١ صـ ٧٥ دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
(٣) جمهرة خطب العرب صـ١٥٠.

وهكذا تبدت لنا البلاغة النبوية العالية في هذه المقابلة التي حملت في داخلها حسن استيعاب واستيفاء للتقسيم، من حيث لا ثالث لهذين الطريقين؛ طريق من كانت الآخرة همه ونيته، وطريق من كانت الدنيا همه ونيته، لتترك للعاقل اختيار أفضل الطريقين.

ولا يخفى أن هذه المقابلة وهذا التقسيم، جلّي لنا بوضوح تام صورتين لطريقين، طريق الآخرة، وطريق الدنيا، وهى كذلك مقابلة بين رضا الله على أهل الآخرة، وبين سخط الله على أهل الدنيا، وكذلك مقابلة بين الرضا والقناعة في الطرف الأول، وبين الجشع والطمع في الطرف الثاني.

وهكذا تبدت لنا بلاغة المقابلة، وكذلك صورة الاطمئنان والاستقرار في الطرف الأول، وصورة الحيرة والقلق والهم في الطرف الثاني.

"وأسلوب المقابلة من الأساليب المحببة إلى النفوس، حيث يقود إليها الطبع، فترد في الكلام سمحة منسابة، ولعل السر في حسنها، هي أنها تعين على تجلية الحقائق وإبراز معادنها"[1].

ومن ثم تواطئت هذه الجمل وجرت على نظام إيقاعي ونغمي متقارب –أيضاً–؛ مما أدى إلى قوة الترابط بين هذه الجمل، وهذا الكلام الأخير ليس خاصاً بجمل المقابلة فحسب؛ بل ينسحب على جمل الخطبة كلها.

تم تحليل الخطبة– بحمد الله–

---

(١) قراءة في الأدب القديم، د/ محمد أبوموسى صـ٢٨٦ دار الفكر العربي الطبعة الأولى سنة ١٩٧٨م.

تعقيب وخاتمة

حقا إنها لحظات ممتعة ورائعة؛ تلك التي يعيشها المسلم مع كلام خير البشر؛ متأملا ومتدبرا تلك البلاغة العالية، التي خرجت من مشكاة الوحي الصادق، والإلهام الصائب، وهي مؤيدة بالحكمة ومحفوفة بالعصمة، فكيف يخرج هذا البيان النبوي عن حد الفصاحة الخالصة، والبلاغة الفائقة، وهو الذي أُعطي جوامع الكلم، وأُوتي الحكمة وفصل الخطاب؟

* وتلكم الخطابة النبوية التي عايشناها في هذا البحث، قد خرجت من قلب موصول بخالقه، مهموم بأحوال أمته، أمين على تبليغ رسالته، فجاءت تعالج أمور هذه الأمة مراعية أحوالها ومصالحها.
* ولما كان الرسول الأعظم مأموراً بتبليغ رسالته علي الوجه الأكمل؛ فقد حرص علي حث أمته وحضها على تبليغ كلامه، في هذه الخطبة التي ألقاها في الخيف من منى، وبين فيها أهمية التبليغ ومنزلته، فسارع إلي بيان ثوابه في استهلال هذه الخطبة في قوله: "نضر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها" وتعد هذه البداية من براعة الاستهلال. كما وضحنا في ثنايا التحليل.
* وجاءت الخطبة موجزة- كما هو الحال والشأن في معظم الخطب النبوية، وجاء بناؤها على ثلاث فقرات، كل فقرة منها آخذة بحجز أختها يشد بعضها بعضا كالبنيان المرصوص.

وبدأت الفقرة الأولى " بتعبير يحمل في طياته ألوانا بلاغية. وأكد هذا التعبير على أن اللطائف البلاغية لا تتزاحم. فقد وقع الخبر فيها موقع الإنشاء؛ لأنها جملة دعائية، خبرية لفظا إنشائية معنى.

*وجاءت الاستعارة فيها قريبة من الحقيقة؛ لكثرة جريانها على الألسنة، ثم كان المجاز المركب على مجاز؛ حيث انتقلت النضارة من أصل معناها من الشجر والنبات والعود، إلى نضارة الوجه وبريقه، ثم انتقلت من نضارة الوجه وبريقه، إلى حسن الخلق والقدر والجاه، وعلو المنزلة، وقد أيدنا ذلك بكلام أهل العلم.

*كما جاء في هذا التعبير المجاز بالحذف، والأصل: "نضر الله وجه عبد، وقد التقى بذلك البيان النبوي مع البيان القرآني في هذا الشأن، في قوله تعالى: "وجوه يومئذ ناضرة"، وقوله: "تعرف في وجوههم نضرة النعيم".

*أكدت الفقرة الأولى من الخطبة على مدى حاجة المبلغ إلى الحفظ، والفهم، والقبول، والكياسة، والفقه؛ حتى يحافظ على أمانة التبليغ؛ فيؤديها دون زيادة ولا نقصان، وهذا ما أكده قوله: "فوعاها"، ونظرا لأهمية التبليغ أكد الرسول الأعظم هذا المعني في خطبة الوداع بعرفات، في قوله:"ليبلغ الشاهد الغائب، فإنه رُبّ مبلغ يبلغه أوعى له من سامع".

*وضحت الفقرة الأولى- أيضاً- مراتب المتلقي في قوله: "ورُبّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه".

*ترجع أن "رُبّ" في هذا المقام تفيد التقليل، استناداً على رواية أخرى: "فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه".

الفقرة الثانية: "ثلاث لا يغل عليهن قلب المؤمن...".

*بُينت هذه الفقرة على الإجمال والتفصيل الوارد في سياق التركيب العددي، وهو ما يسمى في مصطلح البلاغيين بـــ "التوشيع" وهو صورة من صور الإطناب، وفرع من فروع الإيضاح بعد الإبهام، وهذا الأسلوب يعد عنصرا من عناصر التشويق والإثارة.

* وقد وضحنا بلاغة الفصل بين جمل التفصيل والإيضاح في هذه الفقرة، وحاول البحث توضيح العلاقة بين هذه الجمل، وبيان وجه التناسب بينها. وكذلك إظهار العلاقة بين الفقرة الثانية، وبين الفقرة الأولى.
* كانت الفقرة الثانية بمنزلة التحلية قبل التحلية، وهي تحلية القلب من أمراض القلوب التي تعوق المبلغ عن تبليغ ما وعاه، وكأنها حصانه يتحصن بها المبلغ.
* من أهداف هذه الفقرة -أيضا- استقرار أحوال الأمة عن طريق بناء الفرد والجماعة، وتوطيد العلاقة بين الحاكم والمحكوم، ولا يتحقق ذلك إلا إذا انعقد قلب المؤمن على الخصال الثلاثة التي بنيت عليها هذه الفقرة وهي: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين.

الفقرة الأخيرة:

جاءت الفقرة الأخيرة امتداداً طبعياً للفقرتين السابقتين؛ فبعد أن بين أهمية التبليغ ومنزلة المبلغ وثوابه، ومراتب المتلقي في الفقرة الأولى، ثم الحديث عن سلامة القلب الذي وعى ما سمع، وبناه على إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين؛ جاءت الفقرة الثالثة والأخيرة؛ لترسخ في قلب المبلغ حب الآخرة، وترغبه في السعي إليها، وفي الطرف الثاني من المقابلة ترهيب وتحذير من الركون إلى الدنيا التي تشغل المبلغ عن التبليغ.
* وبُينت هذه الفقرة على أسلوبين من أساليب العربية وهما: أسلوب المقابلة، وأسلوب الشرط، وتفرع عنهما أسلوب الترغيب والترهيب.

* وقد تآزر مع أسلوب المقابلة وأسلوب الشرط صور بيانية، متمثلة في الاستعارة المكنية في قوله: "أتته الدنيا وهي راغمة". وجاء قوله: "وجعل فقرة بين عينيه" حاملا في طياته لطائف بيانية تحمل على أكثر من وجهة، أولها: حملها علي الاستعارة المكنية.

ولكن البحث يرى حملها على الاستعارة التمثيلية لملائمتها المقام والسياق، كما بينت على هذه الاستعارة كناية زادت في توثيق المعنى وتأكيده.

* جاءت كناية أخرى في قوله:"فرق الله شمله" "فرق الله عليه ضيعته".
* جاء الوصل بين الجمل للتوسط بين الكمالين؛ لاتفاق الجمل في الخبرية لفظا ومعنى، وتناسب الجمل في الفعلية في كونها أفعالا ماضوية.
* حملت الفقرة الأخيرة حسن استيعاب واستيفاء للتقسيم.
* جاءت المقابلة في ثوب التفويف في مجيء المعاني متلائمة في جمل مستوية المقادير أو متقاربتها.

جاءت معظم الأفعال في هذه الخطبة ماضية مثل:

نزع- جعل- شتت- فرق- كان- كانت - كتب- رزق- كف- أتته.

وبعد – فلا أدعي أنني قدمت في بحثي شيئا فريدا لا يستطيع غيري عمله، ولكني حاولت أن أضع خطب الرسول الأعظم في مكانها اللائق بها، وأن ألفت الأنظار إلى أهميتها وبلاغتها، وما فيها من هَدْي، يضم إلى أحادثيه ورسائله- صلى الله عليه وسلم؛ ليكتمل البنيان البياني المحمدي.

والحمد لله الذي بقدرته تتم الصالحات،،،

المصادر والمراجع

- أساس البلاغة للزمخشري – تحقيق عبد الرحيم محمود – دار المعرفة – بيروت – لبنان
- أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني – تحقيق الشيخ شاكر– مطبعة المدني بالقاهرة– الطبعة الأول ١٤١٢هـ– ١٩٩١.
- إعجاز القرآن للباقلاني – تحقيق السيد صقر – الطبعة الرابعة – دار المعارف بالقاهرة.
- الإيضاح على البغية – مكتبة الآداب بالقاهرة – الطبعة الأولى سنة١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٩م.
- جمع الجوامع المعروف بالجامع الكبير– للإمام جلال الدين السيوطي – طبعة الأزهر الشريف – مطبعة دار السعادة ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
- جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة – د. أحمد زكى صفوت، مكتبة الحلبي بالقاهرة – الطبعة الثانية – ١٣٨١هـ – ١٩٦٢م.
- حاشية السندي على سنن ابن ماجه – كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجة – لمحمد عبد الهادي التنوي نور الدين السندي – دار الجيل – بيروت – بدون.
- الحجاج في الخطابة النبوية – د. عبد الجليل العشرواي – عالم الكتب الحديث – إربد – الأردن/ الطبعة الأولى ٢٠١٢م.
- الخطابة في صدر الإسلام – د. محمد طاهر درويش – دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٦٥.

- خطب الرسول – صلى الله عليه وسلم – مجدي الشهاوي – المكتبة التوفيقية.
- الخطب والمواعظ لأبى عبيد القاسم بن سلام– تحقيق – د. رمضان عبد التواب – مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة – الطبعة الأولى – ١٤٠٦هـ – سنة ١٩٨٦م.
- دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني – تحقيق الشيخ شاكر – مطبعة المدني – الطبعة الثالثة – ١٤١٣هـ – ١٩٩٢.
- دليل الفالحين لمحمد بن علان المكي – تحقيق عصام الدين الصبابطي – دار الحديث بالقاهرة – الطبعة الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٨٨م.
- سنن ابن ماجة – تحقيق محمد محمد تامر– شركة القدس بالقاهرة ٢٠٠٩م.
- سنن الترمذي – شركة القدس بالقاهرة – ٢٠٠٩م.
- سنن الدرامي – دار الكتب العملية – بيروت – لبنان.
- السيرة النبوية لابن هشام – تحقيق– مصطفى السقا وآخرون – الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠١٢م.
- شرح أحاديث من صحيح البخاري – د. محمد أبو موسى – مكتبة وهبة – القاهرة الطبعة الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.
- شروح التلخيص – دار الإرشاد الإسلامي – بيروت – الطبعة الثانية سنة ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.
- الصبغ البديعي– د. أحمد موسى – دار الكاتب العربي ١٣٨٨هـ – ١٩٦٩م.

- صحيح البخاري- تحقيق هندي صابر قاسم – مكتبة أولاد الشيخ للتراث بالقاهرة – الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٨م.
- صحيح خطب الرسول صلى الله عليه وسلم – جمع وتحقيق إبراهيم أبو شادي- دار الغد الجديد- الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.
- عمدة القاري للإمام العيني – تحقيق: د. الشحات الطحان وآخرون – السحار للطباعة – الطبعة الأولى ٢٠١٢م.
- الفائق في غريب الحديث للزمخشري – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – على محمد البجاوي – طبعة دار المعرفة – بيروت – الطبعة الثانية – بدون.
- فتح الباري – شرح صحيح البخاري – لابن حجر العسقلاني – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى – دار الريان للتراث – القاهرة – الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
- قراءة في الأدب القديم – د. محمد أبو موسى – دار الفكر العربى – الطبعة الأولى سنة ١٩٧٨م.
- قوت المغتذي على جامع الترمذي للسيوطي – تحقيق ناصر محمد الغريبي – جامعة أم القرى – مكة المكرمة ١٤٢٤هـ.
- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان- محمد فؤاد عبد الباقي – دار الحديث بالقاهرة – ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م
- لسان العرب لابن منظور – طبعة دار المعارف بالقاهرة.
- مجلة المؤتمر الدولي الثالث بكلية اللغة العربية بالزقازيق ٢٠١٢م.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعلى الملا الهروى القاري – دار الفكر- بيروت- لبنان- الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل لأبى عبد الله أحمد الشيباني – تحقيق شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد – مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى ١٤١٢هـ – ٢٠٠١م.
- مفردات ألفاظ غريب القرآن للراغب الأصفهاني – كتاب الجمهورية سنة ١٩٩١م.
- من خطب الرسول "صلى الله عليه وسلم" وخلفائه الراشدين – طه العفيفي – دار التراث العربي للطباعة والنشر بالقاهرة – الطبعة الأولى – ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.
- النهاية في غريب الحديث لابن الأثير – تحقيق محمود الطناجي – المكتبة الإسلامية – بدون.

الفهرس

المقدمة

الصفحة

التمهيد: أهم السمات البلاغية للخطب النبوية.

نص خطبة: "الخيف من منى". ومصادرها

تحليل الفقرة الأولى.

تحليل الفقرة الثانية.

تحليل الفقرة الثالثة والأخيرة.

الخاتمة.

المصادر والمراجع.

الفهرس.